

## جراح الحرث فى البحر والشاعرة وفاء وجدى

تواصل الشاعرة وفاء وجدى فى دواوينها الشعرية تأصيل صوت المرأة العربية الشعرى وتعد مع الشاعرة ملك عبد العزيز التى تسبقها فى التجربة والطلع والنضج أبرز شاعرتين مصريتين فى نطاق مدرسة الشعر الحديث. وقد صدر لوفاء وجدى عدد من الدواوين الشعرية هى: «ماذا تعنى الغربية» ١٩٦٧ و«الرؤية من فوق الجرح» ١٩٧٣ و«الحب فى زماننا» ١٩٨٣ و«الحرث فى البحر» ١٩٨٥ بالإضافة إلى مسرحية شعرية هى: «بيسان والأبواب السبعة»، وقد تفتحت موهبتها الشعرية فى أوج ازدهار حركة الشعر الحديث فى منتصف الستينيات حيث شاركت بإسهام محدود فى خلق تصور جديد لمفهوم القصيدة الشعرية التى كان يكتبها جيل ما بعد الرواد التى طمحوها فيها إلى تجسيد رؤيتهم الشعرية بعيدا عن ترديد شعارات الخمسينيات من ناحية ومراجعة فكرة الحداثة فى الشعر من ناحية أخرى.

ولقد جاء صوت وفاء وجدى فى دواوينها الأربعة وكأن قضية الحب هى المركز الرئيسى لعالمها الذى ينطوى على حس رومانسى جارف ولكنه يحاول تنويع اللحن الرومانسى ليصبح إيقاعا متراوفا بين الفتنة الرومانسية بالحب والجمال والحرية وبين رؤية شاحبة للواقع وطموح فاتر للتأمل الفلسفى. وتمثل تجربتها فى الحب إثراء لوجدانيات الشاعرة العربية فى النصف الثانى من هذا القرن فهى تتبدى أكثر تجردا من

قيود الماضي وهو اجس القهر الأنثوى فتشيع فى شعرها هذه اللهجة  
الواثقة بالنفس والتي تعبر عن ندية وبراءة وإحساس بطبيعية العلاقة  
بين الرجل والمرأة ولهذا فهى لا تلجأ كثيرا للرموز توشح بها مشاعرها  
أو تسقط عليها خفايا عالمها الأنثوى. هى تتحدث ببساطة وبراءة عن  
عالم بسيط ومتواضع لا يحفل بالمغامرة ولا بتحطيم الأعراف والتقاليد  
وإنما تنسج لحنا للتوافق رغم إحساسها بالاغتراب. ويوشك الحب أن  
يكون وطنا لهذه الشاعرة التى تكرس للغناء له معظم أشعارها ولهذا  
تصبح الغربية هى فراق الأحباب وهى غربة ذات ملمح أنثوى، حيث  
تقول فى ديوانها «ماذا تعنى الغربية»:

الغربة أن يفترق الأحباب وهم أحباب  
ينتظرون ربيع الحب  
يحلم كل حبيب بجنى موسمته الخلاب  
لكن ما جدوى أن نعرف ما تعنيه الغربية  
ومصير أوديبوس  
ينتظر وراء الهولة والأبواب

والإحساس بالعبث واللاجدوى أحد ملامح تجربتها الشعرية منذ  
ديوانها الأول فهى تعيش حياتها عبر موجات تعلق وتهبط من الفشل  
والنجاح من الأمل واليأس من الازدهار والانطفاء، وكأن وعيها يشارك  
مشاعرها عدم القدرة على ضبط إيقاع الحياة فى منظور متماسك تقول  
وفاء وجدى فى قصيدة «نحن والجنون والعدم»:

سدى يضيع يومنا سدى

فى البحث عن لآلى البحار فى الرمال  
فى بذر حبات القلوب فى الصخور  
وننثنى ندور  
لنجمع الحصاد

.....

سدى ندور  
فيومنا قصير  
ونحن لا نواصل المسير  
وثوبنا يفوح بالعدم

إن الومضات الأنثوية بعبيرها الفواح تلمع فى دواوينها كإشارات  
لا تخطىء على وجود مركز لعاطفة رومانسية فى قلب وشعر وفاء وجدى  
فهى تحدثنا عن الخفايا السافرة فى قصيدة بهذا العنوان حيث تكشف  
عن غريزة المرأة التى لا تخطىء فى فهم عاطفة الرجل فتقول:

هذا الذى تخفيه عنى  
لتثير فى نفسى التلهف والتمنى  
هذا الذى تخفيه يبدو كالضحى  
متألقا فى مقلتيك أراه فى نزق يعنى  
ويود إفصاحا ويأبى منك أن تتكتمه  
ويظل يدعونى عسى أن أرحمه

وتتبدى خصائص عالمها الشعرى من الزاوية الفنية متجسدة فى  
هذا الواقع «بالقص الشعرى» حيث تمثل القصيدة عندها حكاية تقترب

فى بنائها من القصة القصيرة ولكنها لا تحفل بالتركيز والتوتر لتتصاعد إلى نهاية هى أقرب إلى التخلص من ذلك التوتر عن طريق الاستطراد والتكرار والكشف عن كل أبعاد الموقف دون أن تظل ذلك بالايحاء الذى يتطلبه الفن عامة والشعر خاصة، وكأن الهدف من كتابة القصيدة ليس تجسيد الحالة الشعرية فى كيان فنى مشحون بالتوتر والانفعال والفاعلية وإنما الهدف هو نفى الحالة الشعرية ذاتها عن الكيان النفسى وبسطها بطريقة سهلة فى كيان لغوى له إيقاع واضح ولكنه غير مكثف إلى الحد الذى يؤدي إلى نقل الشحنة إلى القارئ ولهذا تصعد التجربة الشعرية عند وفاء وجدى عقب الانتهاء من قراءتها إلى الذهن لتأمل ما تبقى من حسرة أو عظة أو ندم من القصيدة ويجيء البناء الفنى بسبب هذه الخاصية «خاصية الإفضاء» أقرب إلى النثر لأن طبيعة الشعر هى الإيحاء. ويحاول الإيقاع أن يبدد الاحساس بسيطرة النثر على القصائد كما تنتشر فى عالمها صور حقيقية للطبيعة والطفولة وهى تتخطى أحيانا عالم المألوف لتدخل أعماق الشعر حين تقول:

يا نبع العينين الصافى  
تتعبد عيناي بهيكلك المختار  
فبفطرة حبك يا نبعي الهدار  
تصطخب على شطيك النار  
فأصلى تقديسا للنار

وتغدو القصيدة أكثر عذوبة حين تكتوى الشاعرة بعذاب الإخفاق أو حسرة الفراق تقول فى قصيدة «أمام المنحنى»:

ضاق الطريق بنا  
فدعنا نفترق  
وأمام أعيننا يطل المنحنى  
وخطى محبتنا التي كانت شموخا  
واعتمادا ومنى  
صارت ترنح بعد أن ضاق الطريق  
وإلى مجاهل فرقة  
أوحت لنا أعماقنا أن نستبق

ولكن هاجس التأمل ما يلبث أن يولد قلقا فى أعماق الشاعر وفاء  
وجدى فى ديوانها الثانى «الرؤية من فوق الجرح» وتكتسى هذه المحاولة  
ثوب الحكمة المدعاة التى توشك أن تمزق الاهداب الشعرى فى بعض  
القوائد ولكنها تظل موقفا ينزح مرة إلى المغامرة مثل قولها :

لا تتوقف  
لا يجدى أن تتوقف  
فأنا لا أنظر تحت الأقدام  
وأنا فى قمة نفسى الشامخة الذروة  
لا أتسكع فى ردهات الأيام  
حين تلعثمت الخطوات بقدميك  
وارتعش الصمت الثلجى بكفيك  
أدركت بلا كلمات أن الهوة تبتلعك  
غامت عيناي لهول المرأى  
لكنى لم أملك الا أن أرثى لك

من يمتلك أجنحة لا يتهاوى  
لكن التمثال الطينى  
يحمل قدر سقوطه  
حتى لو أن الصانع بجماليون

تشيع فى معظم أشعار وفاء وجدى رؤية إنسانية تتشح بمسحة  
أخلاقية ترتقى فى بعض القصائد إلى آفاق صوفية كما فى ديوانها  
«الحرث فى البحر» حيث تتجسد هذه الرؤية فى قمة صدقها فى  
قصيدة «سكون» :

يا مولاي العارف  
طال التجوال وضاق الصدر  
هل ترشدنا عن حسن ختام الرحلة  
كيف يكون  
أدركنا أفراح الوصل وعانينا الأحزان  
الحرمان وفقدان الصبر  
أدركنا يا مولاي برشدك  
فطريق العزلة عزل وطريق النفى موات  
وطريق الرغبة مر  
يا مولاي العارف  
أدرك قصرى فى بصرى  
وقصورى فى فهمى  
وأجبني :

كيف يكون الإغراق بحيثيات العقل نذيرا بجنون

كيف يكون طريق الحب طريق منون؟  
فكرنا يا مولاي ولكن  
صار الفكر هو التجديف  
ونطقنا بالصلوات ولكن  
حوكمننا يا مولاي وكانت تهمتنا التحريف  
لم لا يقبل منا سعى يا مولاي.

إن الحب والوطن والبراءة والطبيعة هي أركان التجربة الشعرية لدى وفاء وجدى ويلعب الإيقاع دورا أساسيا في إثارة الوجدان ولكن إضافتها الحقيقية في نطاقها كشاعرة وسط كوكبة من الشعراء تكمن في محاولة خلق نوع من الشعر الدرامى حيث يشيع الحس المسرحى المتمثل فى تعدد الأصوات والحوار والحركة وهذه العناصر تتغلب على الحس الغنائى فى بعض القصائد مثل قصيدة «محكمة الليل» وهى نموذج شعرى فريد لقدرة الشاعرة على مسرحية التجربة الشعرية فى القصيدة. لقد غلبت على الشاعرة وفاء وجدى طوال قصائدها نزعة الاستطراد والإفشاء ولكنها حاولت أن تجسد رؤيتها الشعرية ذات البعد الدرامى فى عدد من القصائد يكفى ليكفل لها موقعا مرثيا على خارطة الشعر النسائى فى مصر وهى تمثل هذا الجيل من الشعراء الذى يقف على مشارف مرحلة جديدة لا تضيق فيها المرأة بوضعها كامرأة بل تحس بالفخر لذلك وإضافة وفاء وجدى الشعرية لجيلها محسوسة لا من زاوية شاعريتها النسائية فقط بل كشاعرة تنتمى إلى جيل الستينيات امتلكت أدواتها الفنية وحاولت أن تحلق بأجنحتها فى فضاء أمل لم يلبث أن

تھاوی وأدرکت مع أبناء جیلها من الشعراء أن جنی الحصاد كان مزیدا  
من الجراح بسبب الحرث فی البحر.

